

# أولاً : أثر النية في العمل



## الحديث الأول: تقوى الله في الجواهر والمظهر

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

### - تخريج الحديث:

- رواه مسلم في كتاب البر.
- رواه أحمد: ج ٢، ص ٢٨٥، ص ٥٣٩.
- رواه ابن ماجه في باب الزهد عن أبي هريرة رفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم».

### - الراوي:

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات. اختلف في اسمه على أقوال جمّة، أرجحها عبد الرحمن بن صخر. ويقال كان اسمه في الجاهلية عبد شمس «أبو الأسود» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله وكناه «أبو هريرة» وأمه - رضي الله عنها - هي ميمونة بنت صبيح.

حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لم يلحق في كثرته، وعن أبي وأبي بكر وعمر وأسامة وعائشة والفضل وكعب الحبر.

حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقليل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة.

وكان مقدمه وإسلامه في أول سنة سبع، عام خيبر، وقال عبد الرحمن: رأيت أبا هريرة رجلاً آدم، بعيد ما بين المنكبين، أفرق الشنيتين، ذا ضفيرتين،

ولحيته حمراء . وعن كريمة بنت الحسحاس قالت : سمعت أبا هريرة في بيت أم الدرداء يقول : ثلاث هن كفر: النياحة وشق الجيب والطعن في النسب .

قال ابن سيرين : قال أبو هريرة : لقد رأيتني أصرع بين القبر والمنبر من الجوع حتى يقولوا مجنون .

عمر بن ذر : حدثنا مجاهد ، عن أبي هريرة ، قال : « والله ؛ إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ؛ ولقد قعدت على طريقهم ، فمر بي أبو بكر ، فسألته عن آية في كتاب الله - ما أسأله إلا ليستبعني - فمر ، ولم يفعل ، فمر عمر ، فكذلك ، حتى مر بي رسول الله ﷺ فعرف ما في وجهي من الجوع ، فقال : أبو هريرة ؟ قلت : لبيك يا رسول الله ، فدخلت معه البيت فوجد لبناً في قده فقال من أين لكم هذا ؟ أرسل به إليك فلان . فقال : يا أبا هريرة انطلق إلى أهل الصفة فادعهم . وكان أهل الصفة أضياف الإسلام لا أهل ولا مال .

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فأقبلوا مجيبين فلما جلسوا قال : خذ يا أبا هريرة فأعطهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ، حتى أتيت على جميعهم ، وناولته رسول الله ﷺ فرفع رأسه إليه مبتسماً وقال : بقيت أنا وأنت . قلت : صدقت يا رسول الله . قال : فاشرب . فشربت . فقال : اشرب . فشربت . فما زال يقول : اشرب فأشرب حتى قلت : والذي بعثك بالحق ما أجد له مساعاً . فأخذ فشرب عن الفضلة<sup>(١)</sup> .

صحب أبو هريرة رسول الله ﷺ أربع سنوات بعد غزوة خيبر يدور معه في بيوت نسائه يخدمه ويصلي خلفه ، يحج ويغزو ولا ينقطع عن مجالسه ، بل كان

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ، وأحمد ج ٢ حديث ٥١٥ والترمذي في صفة القيامة .

المسجد مقامه ورسول الله إمامه ، فعرف كثيراً من سنة الرسول ﷺ وشاهد دقائق الشريعة والسنة النبوية .

عرف الرسول ﷺ حرصه على الحديث ، وحبه للعلم ، فكان لا يتأخر في إجابته عما يسأل ، ويدعو له بالتوفيق ويخصه بالتعليم .

### - أسباب كثرة أحاديثه:

يتحدث أبو هريرة عن نفسه فيقول : إن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها وإني كنت امرأ مسكيناً ، ألزم رسول الله ﷺ ، أحضر إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ، وإن النبي ﷺ حدثنا يوماً فقال : «من يبسط ثوبه حتى أفرغ فيه من حديثي ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئاً سمعه مني أبداً» . فبسطت ثوبي ثم قبضته إليّ ، فوالله ما كنت نسيت شيئاً سمعته منه .

وفي سنن النسائي أن أبا هريرة دعا لنفسه : اللهم إني أسألك علماً لا يُنسى . فقال النبي ﷺ : آمين .

ومن أسباب كثرة مروياته جراته على السؤال . عن معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي عن أبي بن كعب قال : كان أبو هريرة جريئاً على النبي ﷺ يسأله عن أشياء لا نسأله عنها .

- مسنده: خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً . المتفق في البخاري ومسلم منها ثلاثمائة وستة وعشرون ، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثاً ، ومسلم بثمانية وتسعين حديثاً .

عن سليم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه ، فقيل : ما يبكيك؟ قال : ما أبكي على دنياكم هذه ولكن على بعد سفري وقلّة زادي ، وإني أُمسيت في صعود ومهبطة على جنة أو نار فلا أدري أيهما يؤخذ بي .

قال الواقدي : كان ينزل ذا الخليفة وله بالمدينة دار تصدق بها على مواليه .  
ومات سنة تسع وخمسين ، وله ثمان وسبعون سنة<sup>(١)</sup> .

### - المباحث العربية:

«إن الله لا ينظر إلى صوركم» : جملة خبرية مؤكدة بمؤكد واحد ، يستعمل هذا إن كان المخاطب مترددًا في قبول الخبر طالبًا تأكيده ، ويسمى هذا بالأسلوب الطلبي .

### - المعنى العام:

كانت الأمة العربية لها مفاخر وعادات وفضائل وتقاليد فرضتها طبيعة الصحراء ، منها الكرم والشجاعة ، والإباء والفخر والخيلاء والاعتداد بالنفس وبقوة الجسم ، والاعتناء بالمظاهر والصور والأشكال بمعاييرها الجاهلية التي فيها حب الظهور ورغبة الشهرة وليقال كذا وكذا . . .

وجاء الإسلام يصحح هذه المعايير ، ويجردها من المظاهر والرياء ، ويحولها إلى التقوى ومخافة الله وخشيته في السر والعلن ، وكان ذلك بالتدرج وفي مناسبات مختلفة ، فقد كانوا في الجاهلية إذا ذبحوا لأهتهم يضعون عليها من لحوم قرابينهم ، وينضحون عليها من دمائها ، فأنزل الله تعالى : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾<sup>(٢)</sup> . وبهذا ربط القلوب بحقيقة إيمانية أصيلة هي التقوى ، وأبطل العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الإيماني ، ووجه المؤمنين إلى ترك المقاييس القبيلية من الفخر والرياء والاهتمام بالمظاهر ، وجاء الحديث ليؤكد هذه المفاهيم ويشرحها «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» . جاء ليصحح التصور الإيماني للأعمال كلها ، ويحولها إلى التقوى والشعور بالله ورقابته في السر والعلن .

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ، ص ٥٧٨ - ٦٣٢ .

(٢) الحج : ٣٧ .

وقال: «ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» ليجرد النفس من الشوائب والشهوات، ويوصلها إلى مرتبة الإحسان، بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنهى عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء، وهكذا لا يخطو المسلم في حياته خطوة إلا وهو ينظر فيها إلى الله، ويحيش في قلبه تقواه، ويتطلع فيها إلى وجهه ورضاه، فإذا الحياة كلها عبادة تتحقق فيها إرادة الله من خلق العباد، وتصلح بها الحياة في الأرض وهي موصولة السبب بالسماء.

«إن الله لا ينظر إلى صوركم» أي لا ينظر إلى المظاهر الخارجية الخالية من الحقائق والواقعية، فقيمة الإنسان وصورته أن يكون صادقاً مع الله، مخلصاً للناس، بعيداً عن النفاق، أي لا يجازيكم على ظاهرها، (ولا إلى أموالكم) الخالية من الخيرات غير الزكاة، ولا إلى الأموال التي لم يخرج منها حق السائل والمحروم ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾، ولا إلى الأموال التي لن تنفق في وجوه بر الوالدين وحقوق الأقارب ﴿وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وهي توجيهات نبوية كريمة للمؤمن حتى يقدر نعمة المال ويتحكم فيه في ضوء الكتاب والسنة وينفق على أساس أنه أمانة الله بيده ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾<sup>(٢)</sup>. وإنما يقدر الله تعالى إلى الأموال التي تنفق في سبيل الله ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾<sup>(٣)</sup>. وينمي الأموال التي تنفق بأريحية

(١) الإسراء: ٢٦ .

(٢) البقرة: ٣ .

(٣) البقرة: ٢٦٢ .

وبسرية وبالإخفاء والابتغاء لمرضاة الله ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾<sup>(١)</sup>. وهذه هي الأموال التي ينظر الله تعالى إليها نظرة استحسان وتكريم ، ويثيب عليها ويضاعف أجر الإنفاق في مثل هذه المواضع .

ولا ينظر إلى الأموال التي تنفق رياءً ﴿والذين ينفقون أموالهم رياءً الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾<sup>(٢)</sup>.

«ولا إلى أموالكم» الخالية من الخيرات ، أي لا يثيبكم عليها ولا يقربكم منه<sup>(٣)</sup>. «ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم» التي هي محل التقوى وأوعية الجواهر وكنوز المعرفة . وتقوى الله في الجوهر والمظهر هو المطلوب من المؤمن ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾<sup>(٤)</sup>. «ولكن ينظر إلى قلوبكم» إذا كانت القلوب صافية تزداد إيماناً بالله وتقيه في كل حركاته وسكناته فتقرب إلى رحمة الله ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن أبرز المعاني التي يشير إليها النبي ﷺ «ولكن ينظر إلى قلوبكم» . والقلوب كما فهمها السلف هي محل التقوى ومحل نظر الله تعالى . قال تعالى : ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه . ﴿الذين اتقوا﴾ أي تركوا المحرمات ﴿والذين هم محسنون﴾ أي

(١) البقرة : ٢٦٥ .

(٢) النساء : ٣٨ .

(٣) فيض القدير ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٤) البقرة : ١٠٣ .

(٥) الأعراف : ٩٦ .

فعلوا الطاعات فهؤلاء يحفظهم الله ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرون على أعدائهم ومخالفهم<sup>(١)</sup>.

(وأعمالكم) ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾ فمعنى النظر هنا الإحسان والرحمة والعطف. ومعنى نفيه نفي ذلك، فعبّر عن الكائن عند النظر بالنظر مجازاً؛ وذلك لأن النظر في الشاهد دليل محبة، وترك النظر دليل البغض والكراهية، وميل الناس إلى الصور المعجبة والأموال الفاتقة، والله منزّه عن ذلك، فجعل نظره إلى ما هو السر واللب وهو القلب والعمل. والجمال قسمان ظاهري وباطني، كجمال علم وعقل وكرم. وهذا هو محل نظر الله من غيره وموضع محبته، فيرى صاحب الجمال الباطني فيكون من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطى حلاوة ومهابة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وإن كان أسود مشوهاً. وهذا أمر مشهود بالعيان<sup>(٢)</sup>.

#### - فقه الحديث:

الأصل في العبادات هو طاعة الله دون شرك ولا رياء، فيقول رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»: قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء». . . رواه أحمد والطبراني. «فإنه أخفى من ديبب النمل»، كما حدث الرسول ﷺ، وإن كان الله برحمته يغفر الشرك الخفي وهو الرياء الذي يخفى على الإنسان صاحبه، ولا يأتيه بقصد منه، ولا يغفر الرياء الذي يأتيه الإنسان بوعي منه وإرادة، يريد بذلك استجلاب مديح الناس ولا يبتغي به مرضاة الله.

(١) ابن كثير - سورة النحل م ٢ ص ٩١٩.

(٢) فيض القدير ج ٢ ص ٢٧٧، ٢٧٨.

«وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يبطل عمله أو لا ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجحاً أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروى عن الحسن وغيره»<sup>(١)</sup>.

### - ما يستفاد من الحديث:

- ١ - إخلاص العمل لله، وتجرد النفس من العبودية لغير الله.
- ٢ - أن يتربى المؤمن على تقوى الله؛ لأنها سنده في الوصول إلى النجاة ورضا الله.
- ٣ - يدعو الحديث إلى نبذ العادات والتقاليد والابتعاد عن المظاهر وجميع أنواع الرياء.
- ٤ - الحديث لا يعني إهمال الظاهر، وإنما يرفض الاعتداد به، وجعله الميزان الذي يوزن به الناس. فالمسلم يجب عليه أن يكون نظيف الباطن، نظيف الظاهر، حسن الهندام، وبذلك تتكامل شخصيته بشقيها: الجوهر والمظهر.
- ٥ - قال الغزالي: قد أبان هذا الحديث أن محل القلب موضع نظر الرب، فيا عجباً ممن يهتم بوجهه الذي هو نظر الخلق فيغسله وينظفه من القذر والدنس ويزينه بما أمكن لئلا يطلع فيه مخلوق على عيب، ولا يهتم بقلبه الذي هو محل نظر الخالق فيطهره ويزينه لئلا يطلع ربه على دنس أو غيره<sup>(٢)</sup>.

(١) الجامع الفريد: ص ١٥٤. يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة. الطبعة الثانية وقف لله تعالى.

(٢) فيض القدير ج٢ ص ٢٧٨.

## الحديث الثاني : إنما الدنيا لأربعة

حدثنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا عبادة بن مسلم ، أخبرنا يونس بن خباب عن سعيد الطائي أبي البختري أنه قال : حدثني أبو كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «ثلاث أُقسِمُ عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه . قال : ما نقص مالٌ عبدٍ من صدقة ، ولا ظلمَ عبدٌ مظلمةً صبر عليها إلا زاده الله عزاً ، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها - وأحدثكم حديثاً فاحفظوه . فقال : إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى ربه فيه ويصل به رحمه ويعلمُ الله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل ، وعبدٌ رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبدٌ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يُحْبِطُ في ماله بغير علم ؛ لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلمُ الله فيه حقاً فهو بأخبث المنازل ، وعبدٌ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء» .

- تخريج الحديث:

- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ج ٦ (أبواب الزهد - باب ما جاء مثلاً الدنيا مثل أربعة نفر) ص ٥٠٦ - ٥٠٨ . وقال : حديث حسن .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ، ص ٢٣١ ، حديث رقم ١٨٠٥ .

- الراوي :

أبو كبشة الأنماري - رضي الله عنه - ممن لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على الإسلام ، واسمه سليم من مولدي أرض دوس .

اختلف في اسمه فقال ابن حبان في ترجمته : عبد الله بن أبي كبشة (من الثقات) واسمه أبو كبشة الأنباري سعيد بن عمرو. وقال غيره : نزل الشام واسمه عمرو بن سعيد. وقيل : عمير بضم العين. وقيل : عامر. وقيل : سليم. وقال أبو أحمد الحاكم : له صحبة . وجزم بأنه عمير بن سعد وكذا جزم به الترمذي . وحكى الخلاف في اسمه البخاري فيمن اسمه عمرو . وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة عن أبيه قال : «لما كان في غزوة تبوك تسارع القوم إلى الحجر فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره وهو يقول على ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم . . . » . والحديث يشير إلى مواقف مشهودة مع الرسول ﷺ كما يوضح شدة صلته بالنبي ﷺ .

وروى أيضاً أبو كبشة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وروى عنه ابنه عبد الله ومحمد ، وسالم ابن أبي الجعد وغيره .

وشهد أبو كبشة مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ، وتوفي أول يوم استخلف عمر بن الخطاب ، وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة (١) .

#### - المعاني اللغوية والبلاغية:

يقول : «ثلاثٌ» أي من الخصال .

«أقسم عليهن» أي أحلف عليهن .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد م ٣ ص ٤٩ ، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة م ٤ باب الكنى ، حرف الكاف ، القسم الأول (أبو كبشة) ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

«ولا ظلم عبد مظلمة» بصيغة المجهول . «صبر عليها» أي على تلك المظلمة ولو كان متضمناً لنوع من المذلة إلا زاده الله عزاً في الدنيا وفي الآخرة .

«إنما الدنيا لأربعة نفر» إنما أداة حصر وقصر تدل على حصر المبتدأ (الدنيا) في الخبر «لأربعة نفر» . إنما حال أهلها حال أربعة أنواع من الناس لا يكاد يخرج منها . الأول (عبدٌ) على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أو بالجر على أنه بدل مما قبله .

«إنما الدنيا لأربعة نفر» فيه أيضاً إجمال ثم تفصيل ، أجمل أولاً في أربعة ثم فصل . وهو من أساليب الإطناب التي تزيد المعنى جلاءً في القلب ورسوخاً في الذهن .

#### - المعنى العام :

لقد خلق الله الدنيا وزينتها بالمباهج والمسرات ليستمتع بها الناس ، وليعملوا في الأرض زراعة واكتشافاً لبواطنها ؛ لتوفيرها وتحصيلها ، فتنمو الحياة وتتجدد ، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض ، ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة فلا ينحرفون عن طريقها ولا يشتغلون بالمتاع عن تكاليفها ، ولا ينغمسون في ملذاتها ، فكان ﷺ يبين لأصحابه الطريق المعتدل المتوازي للحياة في هذه الدنيا فيهم الدنيا في بعض المرات . (حدثنا قتيبة أخبرنا عبد الحميد بن سليمان عن حازم عن مسعر بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»<sup>(١)</sup> ؛ لأن الكافر عدو الله ، والعدو لا يُعطى شيئاً مما له قدر عند المعطى .

والدنيا وحياتها اللذيذة وزينتها المثيرة تغري المؤمن وتخدعه ، فيندفع نحوها مجارة لأصحاب الديانات الأخرى ، فكان ﷺ يسلك الوسائل التربوية المرئية

(١) تحفة الأحوذى ج ٦ (باب ما جاء في هوان الدنيا على الله) ص ٦١١ .

والمسموعة ليعالج اندفاع المؤمن نحو ملذات الحياة؛ فعن قيس بن أبي حازم عن المُستوردِ بنِ شدّادِ قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟ قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله. قال: الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» (١).

موقف تربوي ميمون يتحرك الرسول ﷺ ومعه أصحابه، ثم يستوقفهم ﷺ أمام الشاة الميتة المرمية على الأرض، ثم يلفت أنظارهم إلى هذا المنظر المنتن، ويثير كوامن مشاعرهم، فيقول: أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟ قالوا: نعم يا رسول الله. فيستثمر الرسول هذا الموقف ويعطيهم جرعة تربوية قائلاً: الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها.

وهكذا يحقق هذا المنهج النبوي الاعتدال والتوازن في حياة الإنسان ويمكنهم من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة التي لا حرمان فيها ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.

وتتكرر هذه المواقف وتشتد الكلمات التربوية حيناً وترق حيناً آخر، حدثنا محمد بن حاتم المؤدب أخبرنا علي بن ثابت أخبرنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان قال: سمعت عطاء بن قرّة قال: سمعت عبد الله بن ضمرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم» (٢).

(١) تحفة الأحوذى ج٦ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله.

(٢) المصدر نفسه ص ٣١٦.

ومن معاني التربية ونظرة المؤمن نحو الدنيا قوله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه. قال: ما نقص مال عبد من صدقة...». والوقوف هنا تتطلب معرفة الحقائق النفسية ومسارب النفس البشرية؛ فإن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم، ويخوفه من الإنفاق في سبيل الله ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾<sup>(١)</sup>.

وإلى هذا يشير ﷺ فيقول: «ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً». وهذه المظلمة عادة تكون من معالم الدنيا. ومن حب الدنيا ومظاهرها فتح باب المسألة والإلحاح في السؤال، ويعالجه الرسول ﷺ قائلاً: «ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها». ويستمر النبي ﷺ في معالجة حب الدنيا والانغماس في هذه المعضلة العويصة، فيقول إن أمر المؤمن في هذه الدنيا لا يكاد يخرج عن أربع حالات.

«إنما الدنيا لأربعة نفر». أفضل الحالات وأجملها هي حالة العبد الذي رزقه الله مالاً وعلماً (علماً شرعياً نافعاً) فهو يتقي ربه فيه، أي في الإنفاق من المال والعلم، ويصل به أي بكل منها (رحمه) أي بالصلة من المال وبالإسعاف بجاه العلم. «ويعلم الله فيه حقاً» من وقف وإقراء وإفتاء وتدريس، «فهذا» أي العبد الموصوف بها ذكر «بأفضل المنازل» أي بأفضل الدرجات عند الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) البقرة: آية ٢٦٨.

(٢) تحفة الأحوذى ج ٦ (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) ص ٦١٦.

هكذا بكل وضوح وفي جمل قصيرة وعبارات بليغة بين الرسول ﷺ أن موقف المؤمن في هذه الدنيا أن يجعلها مزرعة للأخرة، وبذلك قد يكسب الدنيا والآخرة، فيخدم الإسلام، ويكرم العلماء، ويعالج الفقراء والمساكين، ويتودد إلى الأقرباء والجيران، ويسهم في معالجة قضايا العالم الإسلامي، ويفرج كربات المؤمنين والمساكين، ويتصرف في ماله باعتدال وحكمة، فينفق في ضوء الإسلام والقرآن، ويكون المال عوناً للطاعة، ووسيلة لكسب الأجر، فيكون غناء المؤمن مثل غناء عثمان بن عفان، ومال عبد الرحمن بن عوف، وثناء أبي بكر الصديق رضي الله عنهم.

والنوع الآخر من المؤمن «وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً» (علماً) أي شرعياً نافعاً «ولم يرزقه مالاً» ينفق منه في وجوه القربى، يقوم فيما بينه وبين الله «بعمل فلان» أي الذي له مال ينفق منه في البر، وهذه الطبقة - طبقة العلماء والدعاة والمؤلفين - مَنْ الله عليهم بنعمة العلم، فسهروا الليالي بين الكتب، وارتووا من مناهل العلوم، وانشغلوا في التتبع بأنواع المعارف، ولم تمكنهم ظروفهم من كسب الدنيا، ولكنهم يتمنون أن يساعدوا المحتاج، ويشتاقون للوقوف بجانب المحتاجين، ويحترقون للمساهمة الفعالة لتفريج كرب المؤمنين، فهم بهذه النية وبهذا الاحتساب يؤجرون، وأجرهم لا يقل عن النوع الأول.

والنوع الثالث «عبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً» يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، بل يصرفه في شهوات نفسه بغير علم. قال القاري: أي بغير استعمال علم يمسك تارة حرصاً وحباً للدنيا، وينفق أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء. «لا يتقي فيه ربه» أي لعدم علمه في أخذه وصرفه.

«ولا يصل فيه رحمه» أي لقلة رحمته وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله . «ولا يعلم الله فيه حقاً» . وفي المشكاة : ولا يعمل فيه بحق . قال القاري : رحمه الله : أي بنوع من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده . فهو بأخيث المنازل عند الله تعالى ، أي أخسها وأحقرها .

هذا النوع من المال وهذا النوع من الدنيا يكاد يكون ابتلاءً للمؤمن وانزلاً قاً للمنافق ومفسدة للآخرين .

### إن الفراغ والمال والجده مفسدة للمرء أي مفسده

الصنف الأخير «عبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان» أي من أهل الشر، يعني يتمنى أن ينغمس في الملهذات ، ويتعد عن القيم الخلقية ، ويتودد إلى أصحاب المعاصي ، ويصاحب الأشرار، ويسلك مسالك أهل الفساد، ويتمنى أن ينضم إليهم ، ويجذو حدوهم ، ويعرف بهم ، ويجاهر بذلك ، فيقول : «لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان» . فهو يبعث معه يوم القيامة لقوله ﷺ : «المرء مع من أحب» . وإلى هذا يشير الحديث «فهو بنيته فوزهما سواء»<sup>(١)</sup> .

### - فقه الحديث :

١ - من واجبات المؤمن الغني أن يصل بماله رحمه وأن يعلم الله فيه حقاً من وقف وإقراء ، والإنفاق في سبل الخير من بناء المستشفيات والمدارس والجوامع ودور الأيتام وحفر الآبار .

٢ - يجوز للعالم أن يتمنى الشراء والغنى ويسعى للكسب والتوفير لينفق في سبيل الله .

(١) تحفة الأحوذى ج ٦ (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) ص ٦١٧ .

## - ما يستفاد من الحديث:

١ - الحديث يشير إلى تقليل حب الدنيا وإلى الاعتدال والقصد في المنهج الإسلامي وفي الإنفاق وفي الكسب ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره وترك لله الخيرة، ورضي بما يختاره له الله من العلم والمال فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة، بل يكون في أفضل المنازل .

٢ - يشيد الحديث بالعلم والعلماء الذين انشغلوا بالتربية والتعليم ولم يجدوا فرصة للكسب والتوفير، ولكنهم يتمنون الإنفاق في سبيل الله . وهؤلاء لهم نصيب مضمون لا يبطئ عليهم معالم الخير.

٣ - ويشير الحديث إلى فريق همهم الدنيا فهو حريص عليها مشغول بها محروم من العلم والمال، ولكنه يمني نفسه فيقول لو أن له مالاً لعمل كذا وكذا من الشر، فقد خسر الدنيا والآخرة .

## الحديث الثالث: المرء مع من أحب

حدثنا بشر بن خالد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب».

### - تخريج الحديث:

- ١ - فتح الباري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله م ١٠ ص ٥٥٧.
- ٢ - وفي مسلم: حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله. قال: فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.
- ٣ - تحفة الأحوذى، أبواب الزهد، باب المرء مع من أحب، م ٧ ص ٦٠ ومنه «المرء مع من أحب وله ما اكتسب» (هذا حديث حسن غريب من حديث الحسن البصري عن أنس).

وفي الباب عن علي وعبد الله بن مسعود وصفوان بن عسال وأبي هريرة وأبي موسى. وأما حديث علي فأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط بإسناد جيد. وأما حديث عبد الله بن مسعود فأخرجه الشيخان. وأما حديث صفوان بن عسال فأخرجه الترمذي - عن صفوان بن عسال قال: جاء أعرابي جهَّورِيَّ الصوت فقال: يا محمد، الرجل يحب القوم ولما يلحق هو بهم. فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب». هذا حديث صحيح.

وأما حديث أبي موسى فأخرجه البخاري: حدثنا سفيان عن الأعمش بن أبي وائل عن أبي موسى قال: «قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم. قال: المرء مع من أحب» تابعه أبو معاوية ومحمد بن عبيد.

٤ - وفي سنن الدارمي عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل مثل عملهم . قال : أنت يا أبا ذر مع من أحببت ، قال : فإني أحب الله ورسوله . قال : أنت مع من أحببت . م ٢ (باب المرء مع من أحب) ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

#### - الراوي :

الحديث عن (عبد الله) هكذا رواه أصحاب شعبة ، حيث إنهم قالوا : (عن عبد الله) ولم ينسبوا ابن أبي عدي عند مسلم وأبو داود الطيالسي عند أبي عوانة . . . وحكى الإسماعيلي عن بندار أنه عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري . ولكن صنيع البخاري يقتضي أنه كان عند أبي وائل عن ابن مسعود وأبي موسى جميعاً وأن الطريقين صحيحان .

ومن باب الاختصار وفقنا الله لاختيار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

#### - الراوي :

عبد الله بن مسعود غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهرة . كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين ، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين وكان يوم اليرموك على النفل . ومناقبه غزيرة روى علماء ، كثيرًا ، ومروياته قوية وكثيرة ، اتفق له في الصحيحين على أربعة وستين حديثًا ، وانفرد له البخاري بإخراج واحد وعشرين حديثًا ، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا . وله عند بقيِّ بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا . وكان عبد الله بن مسعود رجلًا نحيفًا قصيرًا شديد الأدمة أحمر الساقين ، وكان معدودًا في أذكياء العلماء ، وكان يعرف أيضًا بأمه فيقال له ابن أم عبد .

جاء ابن مسعود من هذيل إلى مكة بعد وفاة أبيه يطلب الكسب فاشتغل

برعي الغنم لعقبة بن أبي معيط ، والتقاء رجلان كلمه أحدهما كلامًا عذبًا ورأى منه ما يسره ، ثم أدرك أنها رسول الله ﷺ مع صاحبه أبي بكر - رضي الله عنه - فإذا به يأتي إلى عقبه ويترك له أغنامه وينصرف بحثًا عن النبي ﷺ حتى يجده ويسأله أن يعلمه من الكلام الذي سمعه منه ، فيخبره عليه الصلاة والسلام بدعوته فيدخل فيها ويسلم . ويقول له الرسول ﷺ : «إنك غلام معلم» .

ويقول ابن مسعود : لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا . وعن ابن اسحاق : حدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال : أول من هجر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود . وهو ممن هاجر الهجرتين . ومن فضائله أيضًا قال ابن عباس : ما بقي مع رسول الله ﷺ يوم أحد إلا أربعة أحدهم ابن مسعود . وكان ابن مسعود يلزم رسول الله ﷺ لا يكاد يفارقه ، وهو صاحب نعليه وسواكه وطهوره .

عن أبي موسى قال : قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينًا وما نحسب ابن مسعود إلا من أهل بيت الرسول ﷺ لكثرة دخوله وخروجه عليهم . وعن عبد الله بن مسعود قال : ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت . وقال : لقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه .

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله ﷺ مر بابن مسعود وهو يقرأ حرفًا فقال : «من سره أن يقرأ القرآن غصًا كما أنزل فليسمعه من ابن مسعود» . ومن فضائله أيضًا ، عن عليّ قال رسول الله ﷺ : «لو كنت مؤمراً أحدًا عن غير مشورة لأمرت عليهم ابن أم عبد» . وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «اقتدوا باللذنين من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا

بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد». وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن. قلت: يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أشتي أن أسمع من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١]. فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان».

وكان ابن مسعود يقول في دعائه: خائف مستجير تائب مستغفر راغب راهب. وكان يقول: من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة. يا قوم فأضروا بالفاني للباقي.

هذه الكلمات وتلك العادات والصفات وملازمته لبيت النبوة كان لهذه الأشياء كلها أثر كبير في إبراز شخصيته من بين الصحابة حتى أصبح قدوة ونموذجاً لهدي النبي ﷺ وسمته.

مات - رحمه الله - بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين. رحمه الله رحمة واسعة<sup>(١)</sup>.

### - المعنى العام:

إن حب الله لا يكون دعوة باللسان ولا هيأما بالوجدان وكفى، بل لا بد أن يصاحب ذلك الاتباع لرسول الله والسير على هدايته وتحقيق منهجه في الحياة، فالمحبة ليست ترانيم ولا كلمات تقال، ولكنها طاعة لله ورسوله وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول. والرفقة والصحبة عنوان المحبة والعامل الفعال للارتباطات القلبية والفكرية، ولها التأثيرات الواضحة في مجالات الحياة. وإلى هذا يشير مربي الأمة قائلاً: «المرء مع من أحب وله ما اكتسب». ومعنى

(١) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٦١ - ٥٠٠ باختصار وتصرف.

الحديث أن المرء يحشر مع من أحبه وله أجر ما احتسب في محبته . وأول ما يطالب به المؤمن أن يكون ولاؤه لله ورسوله ومحبته لنبيه ، بحيث تتجلى هذه المحبة في سلوكه وانطلاقاته ؛ يقول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » . والآيات كثيرة تشير إلى هذه المفاهيم ، قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ \* قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ . يقول ابن كثير: هذه الآية حاکمة على كل من ادعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وقال حسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني . . . ﴾ وعائشة - رضي الله تعالى عنها - توضح مفهوم الحديث ومفهوم الآية المذكورة قائلة : قال رسول الله ﷺ : «وהל الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟» . قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (١) .

ويستمر ابن كثير في شرح الآية فيقول : ثم قال تعالى أمراً لكل أحد من خاص وعام ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا ﴾ أي تخالفوا عن أمره ﴿ فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي (٢) .

(١) تفسير ابن كثير، سورة آل عمران، ١م ص ٥٣٦ .

(٢) المصدر نفسه .

وكان رسول الله ﷺ يعرف رجاله معرفة وثيقة ويعرف من خصائصهم ما لا يعرفون عن أنفسهم ، وكان يعرف أن الأعراب أقل رقة ومودة فكان ينمي فيهم هذه المحبة ، أي محبة الرسول ﷺ ثم محبة الطيبين . والرواية التالية توضح ذلك : «عن أنس أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال : ويلك وما أعددت لها؟ قال : ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله . قال : إنك مع من أحببت . فقلنا : ونحن كذلك؟ قال : نعم . ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً» .

وفي رواية أخرى عن أنس «فلم أر المسلمين فرحوا فرحاً أشد منه»<sup>(١)</sup> . وسبب هذه الفرحة أنهم أحبوا الرسول بكل المشاعر والجوارح وبكل معاني الإخلاص والمودة والتفاني ، وكانوا يتمنون أن لا يفارقوه لحظة واحدة لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولكن تحقيق هذا العمل كان صعب المنال في تصورهم ، ويحسن بنا هنا أن نعيش لحظات مع صحابة رسول الله ﷺ وهم يتشوقون إلى صحبته في الآخرة ، وفيهم من يبلغ به الوجد لدرجة أنه لا يمسك نفسه عند تصور فراقه . قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب السقمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال : «جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون فقال له النبي ﷺ : «يا فلان ما لي أراك محزوناً؟» فقال : يا نبي الله ، شيء فكرت فيه . فقال : ماهو؟ قال : نحن نغدو عليك ونروح وننظر إلى وجهك ونجالسك وغداً ترفع مع النبيين فلا نصل إليك . فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً . فأتاه جبريل بهذه الآية ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾<sup>(٢)</sup> . فبعث النبي ﷺ فبشره» . ومعنى الآية أن من عمل بما أمر الله به ورسوله وترك ما نهاه الله عنه

(١) راجع فتح الباري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، ج ١٠ ص ٥٥٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٩ .

ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ وهذا معنى قوله ﷺ «المرء مع من أحب». وعن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إني لأحبك حتى أتي لأذكرك في المنزل فيشق ذلك عليّ وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد عليه النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾. وثبت في صحيح مسلم من حديث حقل بن زياد عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: «كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل. فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: أوغير ذلك؟ قلت: هو ذاك قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود. وهذا معنى قوله ﷺ «المرء مع من أحب» فإذا أعان المرء نفسه بكثرة السجود كان مع من أحب.

ومنظر آخر من مناظر المحبة عن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان. فقال رسول الله ﷺ: «من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة».

وظل ﷺ يوجه أمته إلى المحبة في الله وإلى اختيار الصحبة الطيبة فيقول مرة: «المرء مع خليله فلينظر من يخال». ويقول أخرى: «المرء مع من أحب». وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: «المرء مع من أحب». وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله ﷺ وأحب أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأرجو أن الله

يبعثني معهم وإن لم أعمل كعملهم . وهذه هي المفاهيم والأهداف التي يرمي إليها الرسول ﷺ عندما يقول : «المرء مع من أحب» ، ويشجع إلى هذه الصحبة بكلمات ندية عطرة ؛ فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، واللفظ لمسلم<sup>(١)</sup> .

كانت قضية الصحبة تشغل قلوبهم وأرواحهم ، أمر الصحبة في الآخرة وقد ذاقوا طعم الصحبة في الدنيا وإنه لأمر يشغل كل قلب ذاق محبة هذا الرسول الكريم . ومن هنا وضع ﷺ لذلك أسسًا ومعايير .

### - أسس الصحبة:

كانت البيئة المدنية مختلطة بالفئات الثلاث : المسلمين - اليهود والنصارى - المشركين والمنافقين . وكان ﷺ يعلم أن رواسب الماضي وجوانب الميول الطبيعية بحكم الإلف والعادة قد يدفع بعض المسلمين ويتعاطفون مع الفئات غير المؤمنة ويندفعون نحوهم ، فوضع لذلك مقاييس ومعايير وقال : «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» .

وتأثير الجليس الصالح ومدى خطورة جليس السوء ، وضح هذه الفكرة ﷺ بأسلوب بلاغي وبتشبيه بديع فقال عن أبي موسى الأشعري - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل

(١) تفسير ابن كثير، ١م سورة النساء ص ٧٩٣ .

المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وهو تشبيه بليغ لتوضيح الفكرة وتقريبها إلى النفوس، فشبّه الجليس الصالح بحامل المسك وشبّه الجليس السوء بنافخ الكير، وإن تأثير كل منهما ليلمسه كل صاحب عقل وفكر، وقد أنار ﷺ بذلك طريق اللقاء، ووضح أساس اختيار الأخ والصديق، وبين المنهج السليم في الاختيار وطلب ﷺ بأن يخبر كل أخ أخاه بأن محبته هذه لله وفي الله، وللنصح والإخلاص وللتأخي والتآلف. فعن المقدم من معد يكرم قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه»<sup>(٢)</sup>. وكان ﷺ يجدد هذه الفكرة بين حين وآخر ويجول الأمور المادية إلى الأمور القلبية والروحية، فعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»<sup>(٣)</sup>.

والتدقيق في الملامح التي تبدو من خلال هذه التوجيهات يجعلنا نعيش مع البيئة المدنية في صورتها البشرية التي كثيراً ما ننساها ونرى فيها مواضع الضعف والقوة، ونرى أنه ﷺ كيف يوجه أمته من المصالح المادية إلى الروابط الربانية وكيف ينقي النفوس من أدرانها وشوائبها المادية حتى يغدو المؤمن كامل الإيمان، لا يجب أحداً من البشر، ولا يميل إلى شيء من عرض الدنيا أو شهوة من شهواتها، أو مبدأ من مبادئ أهلها أكثر من محبته لله تعالى، فمحبته لله

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، وأخرجه البخاري في كتاب الذبائح (باب المسك).

(٢) تحفة الأحوذى م ٧ (باب ما جاء في إعلام الحب) ص ٧١.

(٣) تحفة الأحوذى م ٧ (باب ما جاء في الحب في الله) ص ٦٥، ٦٦.

تعالى هي المهيمنة على حياته والمسيطرة على قلبه . وقد بحث العلماء الدوافع والأسباب التي تجلب محبة الله لعبده ومحبة العبد لربه ، ولابن القيم في ذلك دراسة ممتعة ، يعدد في كتابه القيم مدارج السالكين الأسباب الجالبة للمحبة نذكر منها بعضها :

- ١ - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به .
  - ٢ - التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض .
  - ٣ - دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال .
  - ٤ - إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى .
  - ٥ - مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها .
  - ٦ - مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة ؛ فإنها داعية إلى محبته .
  - ٧ - انكسار القلب بين يديه .
  - ٨ - الخلوة به وقت النزول الإلهي آخر الليل لمناجاته وتلاوة كلامه .
  - ٩ - مجالسة المحيين الصادقين والتقاط أطياب ثمرات كلامهم .
- فمن هذه الأسباب وصل المحبون إلى منازل المحبة<sup>(١)</sup> .
- هذه هي الوسائل لتنقية القلب من شوائب الدنيا ولتطهير النفس من أدران المادة وحب الدنيا وكرهية الموت ، ويبعث المؤمن يوم القيامة مع من أحب من الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ج ٣ (فصل في الأسباب الجالبة للمحبة) ص ١٧ ، ١٨ .

## - ما يستفاد بالحديث:

١ - الحديث يشير إلى حسن اختيار الأصحاب والأصدقاء، ومجالسة الطيبين .

٢ - الحديث ينير الطريق للشباب ليلتفوا حول العلماء والدعاة والصالحين ، وينهلوا من معينهم ، ويتعلقوا بهم ، ويزدادوا إعجابًا بسلوكهم ويجذوا حذوهم في الأعمال الصالحة .

٣ - الحديث يدعو إلى التآخي والتآلف ويغرس في المؤمن معاني ، ومفاهيم الأخوة المطلوبة في القرآن الكريم ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ .

٤ - ويستفاد من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع أن المؤمن إذا أحب النبي والصحابة ، ولم يتمكن من القيام ببعض أعمالهم يُعِثَّ معهم بلطف من الله وكرمه .

## - فقه الحديث:

● من خال مخلوقًا في خلاف أمر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب كما قال تعالى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ . وقال تعالى : ﴿إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ . قال الفضيل بن عياض : حدثنا الليث عن مجاهد : هي المودات التي كانت بينهم لغير الله ؛ فإن المخالَّة تحابَّت وتوادَّ ، لهذا قال : «المرء على دين خليله» . فإن المتحابين يحب أحدهما ما يجب الآخر بحسب الحب . فإذا اتبع أحدهما صاحبه على محبته ما يبغض الله ورسوله نقص من دينها بحسب ذلك وإلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر؛ قال تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله﴾<sup>(١)</sup> .

(١) فتاوى ابن تيمية ، ج ٧ ، ص ٧٤ ، كتاب الإيثار .

● يجوز تحويل السؤال إلى صيغة الإنكاري لغرض بلاغي، فالرجل يسأل الرسول ﷺ بقوله: متى الساعة؟ فحوّل الرسول ﷺ «متى» إلى «ما» فقال: «ما أعددت لها؟»، وسلك مع السائل أسلوب الحكيم، فأفاده بما هو مفيد بأسلوب بليغ.

● يجوز حصول المعية «المرء مع من أحب» بمجرد دخوله في الجنة؛ لأن المعية لا تقتضي عدم التفاوت في الدرجات.